ح أبو طلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عبدالستار ، أبو طلحة محمد يونس
جبال الحسنات بدقائق معدودات - المدينة المنورة
٢٠٠ ص ، ١٧X٢٥ سم
ردمك ٦ - ٥٨٥ - ٤١ - ٩٩٦٠
١ - الحسنات والسيئات ٢ - الثواب والعقاب في الإسلام - أ - العنوان
ديوى ٢٤٠ ٢٣/١٩٢١
رقم الإيداع : ٢٣/١٩٢١
ردمك ٦ - ٥٨٥ - ٤١ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى : ١٤٢٣هـ
مطابع الوحيد - مكة المكرمة
عنوان الطلب
جوال ٠٥٥٥٢٨٥٧٨ ت ٥٤٤١٠٧٢ مكة المكرمة
ت ٨٣٦٨٣٨٢ / ٠٤ - ٨٣٨٠٥٣٧ / ٠٤
جوال ٨٦ ٢٢ ٣٣٣ ٠٥ (المدينة المنورة)

قال أبو طلحة

الإنسان مركب من الخطأ والنسيان ، فما وقع في كتابنا هذا من الخطأ فهو مني ومن الشيطان الرجيم والذي أرجوه من القراء الكرام أن يقدموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ما وقعنا فيه ، ونتعلم منهم فليس المرء يولد عالماً وفوق كل ذي علم عليم

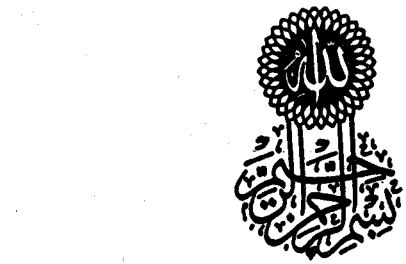

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى

....

....

بعطر يفيض في وادي المحبة
والعرفان أهدي إليكم
هذه الهدية الطيبة

من

....

....

جبال الحسنات
بدقائق معدودات

زبـــدة الـرســالة

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيـم الواسـطي رحمـه الله المعروف بابن شيخ الحزاميين : (وليكن لنا جميعـا بـين الليـل والنهار ساعة نخلو فيـها بربنـا جـل اسمـه ، وتعـالى قدسـه ، نجمع بين يديـه في تلـك السـاعة همومنـا ، ونطـرح أشـغال الدنيا من قلوبنا ، ونزهد فيما سـوى الله سـاعة مـن نـهار ، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه .

فمن كان له مع ربـه حـال تحركـت في تلـك السـاعة عزائمه ، وابتهجت بالمحبة والتعظيـم سـرائره ، وطـارت إلى العلى زفراته وكوامنه وتلك الساعة أنموذج لحالـة العبـد في قبره حين خلوه عن ماله وحبه ، فمن لم يخل قلبه ساعة مـن نهار لما تحوشته من الهموم الدنيوية وذوات الآصـار ،فليعلـم أنـه ليس له ثـم رابطـة علويـة ، ولا نصيـب مـن المحبـة ولا المحبوبية ، فليبك على نفسه ، ولا يرضـى منـها إلا بنصيـب من قرب ربه وأنسه . فإذا حصلـت لله تلـك السـاعة أمكـن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها مـن الحضـور والخشـوع والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع .

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلـة مـن أربـع وعشـرين سـاعة بسـاعة واحـدة لله الواحـد القـهار ، نعبده فيها حق عبادته ثم نجتهد علـى إيقـاع الفرائـض علـى ذلك النهج في رعايتـه وذلـك طريـق لنـا جميعـا إن شـاء الله تعالى إلى النفوذ .) (مقتبس من كتاب العقود الدرية مـن مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ١٩٢) .

مقدمة الكتاب

لك الحمد اللهم جزيل الثواب ، جميل المآب سريع الحساب ، منيع الحجاب ، منحت أهل الطاعة : الطاعة ورغبتهم فيها ، وأوجدت فيهم الاستطاعة وأثبتهم عليها ، وخلقت لهم الجنان وسقتهم فضلا إليها ، وجعلت في الأعمال مفضولا وفاضلا وجيها ، فالرحمة وموجباتها منك، والطاعة وثوابها صدرا عنك ، ومقاليد الأمور كلها بيديك ، والمبدأ منك والمصير إليك .

رب فاحمد نفسك عنا لنفسك ، كما ينبغي لجلال وجهك وكمال قدسك ، فإنا عن القيام بحق حمدك عاجزون ، ولعظمة جبروتك خاضعون ، وإليك فيما منحت أهل قربك راغبون . فجد علينا من خزائن جودك بما تعلقت به الآمال ، فإنك واسع العطاء جزيل النوال . وصل اللهم أتم صلاة وأكملها ، وأشرفها وأفضلها ، وأعمها وأشملها . على الدليل إليك ، والمرغب فيما لديك ، محمد أفضل خلقك أجمعين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، صلاة لا يحصيها عدد ولا يقطعها أمد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد فهذه الرسالة أذكر فيها آيات من الكتاب المبين ، وجملا من حديث سيد المرسلين ﷺ ، في ثواب العمال ، على فواضل الأعمال ،

ليكون ذلك باعثا لأولي الهمم العلية ، على نيل تلك الرتب السنية وسائقاً للمتقين ، إلى جوار رب العالمين .

وإنما حدا بي على ذلك الانتظام في سلك الأدلاء على الخيرات ، والمعونة لأخ مسلم شمر لرقي تلك الدرجات ، عسى الله أن يلحقني به في أعلى الغرفات ، فيما قصرت عنه همتي الدنية من القربات ، فالفضل لديه لا يضاهى ، والخير بيديه لا يتناهى . (مقتبس من مقدمة كتاب «المتجر الرابح» للدمياطي رحمه الله) .

قال رب العزة والجلال : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف : ٨) ، ﴿والوزن﴾ أي للأعمال يوم القيامة ﴿الحق﴾ أي لا يظلم تعالى أحدا ، كقوله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (الأنبياء : ٤٧) . وقال تعالى : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ (النساء : ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نارحامية﴾ (القارعة : ٦-٩) .

وقال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ (المؤمنون : ١٠١-١٠٢) (ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٢٠٣/٢) .

ومن رحمة الله المتزايد على عباده أنه يعفو عن العبد كثيرا من ذنوبه وسيئاته التي اكتسبه وهو لا يعلم أنه محاها عنه قال تعالى : ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (الشورى: ٣٠).

قال ابن كثير رحمه الله ١١٧/٤ : «أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ (الفاطر : ٤٥).

ومن رحمة الله الواسعة على عباده أن جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، قال تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾(الأنعام : ١٦٠) .

وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : «إن ربكم عز وجل رحيم : من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك» (رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي كما في التفسير لابن كثير ٢/١٩٧) .

ولا نهاية لرحمته سبحانه فإنه يقول : ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (الفرقان : ٧٠) وذلك بأن يثبت له بدل كل سيئة حسنة ، وبدل كل عقاب ثوابا .

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، ويخبأ عنه كبارها ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا ، وهو مقر لا ينكر ، وهو مشفق من الكبائر ، فيقال : اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة ، فيقول : إن لي ذنوبا ما أراها ههنا ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه» ثم تلا الآية ﴿فأولئك . . .﴾ (الحديث أخرجه مسلم في الإيمان).

ومن رحمته الواسعة على عباده أن جعل لهم أعمالا يسيرة وبسيطة ، وبسيطة جدا ، ولكنها ذات أجور عظيمة حتى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ، ومنتهى علو قدرها ، كما ستقرؤه في هذا الكتاب إن شاء الله .

♥ ولكن مع كل ذلك يدخل كثير من الناس النار، وتمتلئ النار وتشتعل بهم يوم القيامة قال تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود : ١١٩). (نعوذ بالله من عذاب النار) .

وقال تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾(الأعراف : ١٧٩). يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ الأحقاف : ٢٦ .

❤ قوله تعالى : ﴿أولئك كالأنعام﴾ أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ، ولا يبصرون الهدى ، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يقيتها في ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ (البقرة : ١٧١) ، أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول (وهذا هو حال أكثر المسلمين اليوم ونعوذ بالله من ذلك) ولهذا قال في هؤلاء : ﴿بل هم أضل﴾ . (ذكره ابن كثير رحمه الله) .

❤ واعلم يا أخي ! أن لدخول الجنة أسباب كثيرة ، ولا نستطيع التحدث عنها جميعا في هذه العجالة ، ولكن سنتحدث عن سبب واحد فقط وهو كسب الحسنات وجمعها وثقلها في الميزان قال تعالى : ﴿ فأما من ثقلت موازينه ، فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه ، فأمه هاوية ، وما أدراك ما هيه ، نار حامية﴾ . (القارعة : ٦- ١١) وغير ذلك من الآيات .

وسوف أقوم بضرب بعض الأمثلة على طرق كسب الحسنات الناتجة عن أعمال يسيرة ، لا تحتاج إلى أي جهد ولا وقت يذكر، وسوف اعتبر مضاعفة الحسنات عشر مرات ، وذلك اتباعا للآية الكريمة أعلاه، وسوف أقوم أيضا بأخذ معدل لعمر الإنسان (٢٠) سنة ، وذلك اتباعا لقول الرسول ﷺ «أعذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» . (رواه البخاري كما في المشكاة رقم الحديث : ٥٢٧٢) .

وقـــال رسول الله ﷺ : «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك» . (رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن كما في المشكاة رقم الحديث : ٥٢٨٠) .

♥ ***واعلم*** أن الكتاب مشتمل على بابين رئيسين ، **فالباب الأول** مشتمل على أهمية الوقت وحياة الإنسان ، وتحليل عمر الإنسان ، وفي التشجيع والترغيب في الأعمال الصالحة والاستعداد للآخرة .

والباب الثاني مشتمل على بعض الأعمال الصالحة التي لا تأخذ منك إلا الثواني والدقائق ، وتجعل لك جبال الحسنات بدقائق معدودات وما ذلك على الله بعزيز يا عبد العزيز .

♥ وجمعت هذه الرسالة خاصة للذين لا يجدون الوقت الكافي لأداء العبادات والأذكار ولجميع المسلمين عامة ، وأوردت فيها الأذكار التي يستطيع المرء أدائها في وقت بسيط للغاية مع عظم الأجر الجزيل والثواب الكثير لقائلها . قال تعالى : ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ النساء : ٤٠ .

♥ انظر يا أخي ! إلى كرم الله ولطفه على عباده نظرا لإنهماك الإنسان واستغرا قه في الغفلة جعل الله له سبلا عديدة وبسيطة ، يستطيع من خلالها الحصول على أكبر قدر ممكن من الأجر والثواب لا يستطيع الإنسان حتى تصوره كما ستراه إن شاء الله .

والأحاديث التي نقلتها في الباب الثاني استدلالا على الأعمال والأذكار فهي كلها إما صحيحة أو حسنة ، وتجنبت كل الإجتناب عن الأحاديث الضعيفة ، راجيا من الله الجزاء الأوفى ، والحمد لله على ذلك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة

الباب الأول

وفيه ٤ فصول

الفصل الأول : أهمية الوقت في حياة الإنسان

الفصل الثاني : تحليل عمر الإنسان

الفصل الثالث : الترغيب في الأعمال الصالحة

الفصل الرابع : بعض الجواهر والنصائح الفريدة في الاستعداد للآخرة

الفصل الأول

أهمية الوقت في حياة الإنسان

الوقت : وما الوقت ؟ وما أدراك ما الوقت ؟

قيل : إن إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطع عن الله والدار الآخرة (أي جنات عدن ونعيمها الأبدية) ، والموت يقطع عن الدنيا وأهلها . وقيل : من علامة المقت إضاعة الوقت .

وقال العلماء : إن الوقت هو الحياة ، وهو المحور الذي يتحكم في مسار حياة الإنسان ، فمن اغتنم وقته في الصالحات : أفلح وسعد ، ومن أضاع وقته وعمره خاب وخسر .

ومن تأمل واقع الناس عرف أنهم ينقسمون في مواقفهم تجاه (اغتنام الوقت) إلى أقسام متعددة :

♥ فقسم كبير من الناس لا يشعر بأهمية الوقت ، ولا يدرك خطورة إضاعته والتفريط فيه .

♥ وقسم ثان : يعرف أهمية الوقت وقيمة الزمن لكنه مصاب بالفتور والكسل عن اغتنام وقته ، فهمته لحفظ أنفاسه في الطاعات قد ماتت .

♥ وقسم ثالث : يعرف أهمية الوقت وقيمة العمر ، ولديه همة ورغبة في استغلاله ، ولكنه لا يعرف كيف يحول هذه الهمة والحماسة إلى واقع عملي مؤثر ؟!! لا يدري أين يصرف وقته !! وكيف يقضيه ؟! ليكون من أصحاب اليمين بجوار رب العالمين .

♥ وقسم رابع : يعرف أهمية الوقت والقصد من الحياة وقيمتها مادام في قيد الحياة ، فيصرف نفسه وأنفاسه في أنفس الأعمال وأحسنها وأجملها ، وأعلاها وأولاها ، أحلاها وأبقاها ، المشتملة على

الفوز الكبير والفضل العظيم عند رب العرش العظيم . قال رب العزة والجلال : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (الفاطر : ٣٢) .

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (مدارج السالكين) الجزء الثالث صفحة (١٢٨) وقال :

قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فإن كنت في الدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى ، و إن كنت بالسرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الإنسان من حاله .

وقد يريد : أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة . ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته .

يريدون أن همته لا تتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الأشياء به ، وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة : فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل يهتم بوقته الذي هو فيه ، فإن الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الوقت الحاضر ، وكلما حضر وقت ، اشتغل عنه بالطرفين ، فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رحمه الله : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين ، سمعتهم يقولون : الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل .

♥ قال ابن القيم رحمه الله : قلت : يالهما من كلمتين ، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته ، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم .

وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق .

♥ قال : فأما أصحاب السوابق : فقلوبهم أبدا فيما سبق لهم من الله لعلمهم ، أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد .

ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ، ففكرهم في هذا أبدا . ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ، ولا ملتفتين إليها ويقول قائلهم :

من أين أرضيك إلا أن توفقني
هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي
إن لم يكن لي في المقدور سابقة
فليس ينفع ما قدمت من عملي

♥ وأما أصحاب العواقب : فهم متفكرون فيما يختم به أمرهم ، فإن الأمور بأواخرها ، والأعمال بخواتيمها ، والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يغرنك صفا الأوقات
فإن تحتها غوامض الآفات

فكم من ربيع نورت أشجاره ، وتفتحت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث أن أصابته جائحة سماوية فصار كما قال الله عز وجل : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يونس : ٢٤ .

فكم من مريد كبا به جواد عزمه
فخر صريعا لليدين وللفم

وقيل لبعضهم : وقد شوهد منه خلاف ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال : حجاب وقع ، وأنشد :

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك ؟ إنما العجب ممن نجا كيف نجا ؟

تعجبين من سقمي صحتي هي العجب !!

الناكصون على أعقابهم أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :-

خـــــذ مـــن الألف واحـــــدا

واطـــــــرح الكل مـــن بعـــــده

♥ وأما أصحاب الوقت : فلـم يشـتغلوا بالسـوابق ولا بـالعواقب ، بـل اشتغلوا بمراعاة الوقت ، وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابـن وقته ، لا ماضي له ولا مستقبل .

ورأى بعضهم الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في منامه فقال له : أوصـني ، فقـال له : كن ابن وقتك .

♥ وأما أصحاب الحق : فـهم مـع صـاحب الوقـت والزمـان ومالكـهما ومدبرهمـا مـأخوذون بشـهوده عـن مشـاهدة الأوقـات ، لا يتفرغـون لمراعاة وقت ولا زمان ، كما قيل :

لســــت أدري أطـــال ليـلي أم لا

كيف يــــدري بـــذاك من يتقلى

لو تفـــــرغت لاسـتطالـة ليـــلي

ولـــــرعي النجـــوم كنــت مخلى

إن للعاشقـين عــن قصـــر الليـل وعـن طولـه مـن العــشق شغـــلا .

قـــال الجنيد : دخلت على السري يوما فقلـت لـه : كيـــف أصبحـت ؟ فأنشأ يقول :-

مـــا في النهـــار ولا في الليل فرج

فـلا أبالي أطـــال الليـــل أم قصـرا

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار . يشير إلى أنه غير متطلـع إلى الأوقات ، بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار .

(انتهى ما ذكره ابن القيم رحمه الله) .

أهمية الثواني والدقائق عند الله

اعلم أن إضاعة الوقت (أي الثواني والدقائق والأنفاس) سبب لضياع سائر المنافع الدنيوية والأخروية ، وقد اتفق العقلاء على ذلك وقال : إن الوقت هو الحياة وهو العمر الحقيقي للإنسان ، واغتنام الوقت والعمر في الباقيات الصالحات هو أصل كل خير وصلاح ، ومنه ينشأ كل بر وتقوى ، وإضاعة الأوقات (الدقائق والثواني والأنفاس) وإهدارها في غير فائدة هو منشأ المفاسد والمصائب والبلايا الدينية والدنيوية .

♥ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الجواب الكافي) : أعلى الفكر (أي أنفع الخواطر) وأجلها وأنفعها : ما كان لله وللدار الآخرة ، فما كان لله فهو أنواع : ..... النوع الخامس : الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم (أي العزم والإرادة) كله عليه ، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كله ، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت ، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا . انتهى .

♥ وزاد الإمام ابن القيم هذا الأمر توضيحا وبيانا في كتابه (الفوائد) حيث قال : (السنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، والأنفاس ثمارها ، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فثمرة شجرته طيبة ، ومن كانت في معصية ، فثمرته حنظل ، وإنما يكون الجذاذ (أي جني وحصاد الثمار) يوم المعاد ، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها) انتهى .

فليت شعري : نحاسب أنفسنا وأوقاتنا لكي نعرف حال ثمار أنفاسنا وأعمارنا ودقائقنا وثوانينا ؟ أحلوة طيبة لذيذة ، أم مرة خبيثة حنظل ؟

♥ واستمع إلى ابن القيم رحمه الله وهو يزيد الأمر وضوحا فيقول في كتابه (الفوائد) : أعظم الإضاعات : إضاعتان : هما أصل كل إضاعة : إضاعة القلب ، وإضاعة الوقت ، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة ، وإضاعة الوقت من طول الأمل ، فاجتمع الفساد كله في إتباع

الهوى وطول الأمل ، والصلاح كله في إتباع الهدى والإستعداد للقاء .... والله المستعان . اهـ

♥ فعلم من ذلك أن الثواني والدقائق والأنفاس الموهوبة لنا لها أهمية بارزة عند الله وأوليائه سبحانه ، فاغتنموا أيها الناس ! هذه الأنفاس المعدودة الباقية لكم ، وقد وهبها الله لكم ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وأنشد بعضهم متنبها على ذلك فقال :

حياتك أنفاس تعد فكلما مضت منها نفس انتقصت بها جزءا

وقد ورد الحديث في أهمية الأيام والليالي والساعات والثواني .

فعن عبيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ آخى بين رجلين ، فقتل أحدهما في سبيل الله ، ثم مات الآخر بعده بجمعة – أي أسبوع – أو نحوها فصلوا عليه ، فقال النبي ﷺ «ما قلتم ؟» قالوا : دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه ، فقال النبي ﷺ : «فأين صلاته بعد صلاته ، وعمله بعد عمله ، أو قال : صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض» . (رواه أبو داود والنسائي كما في المشكاة باب إستحباب المال والعمر للطاعة) .

♥ وعن عبد الله بن شداد قال : إن نفرا من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا ، قال رسول الله ﷺ : «من يكفنيهم ؟» – أي من يكفيني مؤنتهم – قال طلحة : أنا ، فكانوا عنده ، فبعث النبي ﷺ بعثا ، فخرج فيه أحدهم ، فاستشهد ، ثم بعث بعثا فخرج فيه الآخر ، فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال : قال طلحة : فرأيت هؤلاء الثلاثة في الجنة ، ورأيت الميت على فراشهم أمامهم ، والذي استشهد آخرا يليه – أي الميت - وأولهم يليه – أي الذي استشهد آخرا ، فدخلني من ذلك – أي تعجبت – فذكرت للنبي ﷺ ذلك ، فقال : «وما أنكرت من ذلك – أي لا تنكر شيئا من ذلك – ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله» . (رواه الإمام أحمد كما في المشكاة باب إستحباب المال والعمر للطاعة) .

قوله ﷺ : «لتسبيحه وتكبيره وتهليله» ونحو ذلك من سائر عبادته القولية والفعليه ، ولفظ الجامع رواية عن أحمد : «لتكبيره وتحميده وتسبيحه» كما في المرقاة شرح المشكاة .

❤ قال أبو طلحة : هذا التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد لا يأخذ منك إلا الثواني والدقائق عند التكلم بها ، فبسبب هذه التسبيحات والتكبيرات بلغ الرجل درجة لم يبلغها الشهيد كما يدل عليه الحديث المذكور ، فعلم من ذلك أن الثواني والدقائق لها قيمة عند الله سبحانه وتعالى .

ولو قال قائل : كيف بلغ الرجل درجة لم يبلغها الشهيد وقد مات على فراشه ؟

نقول : ولا مانع من ذلك وقد قال رسول الله ﷺ : «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (رواه مسلم كما في المشكاة كتاب الجهاد) . والأحاديث في ذلك كثيرة .

❤ وقال في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢٩٧/١ : فيا أخي ! لا تضيع أيامك ، فإن أيامك رأس مالك ، وإنك ما دمت قابضا على رأس مالك ، فإنك قادر على طلب الربح ، فاجتهد في تحصيله بالتوغل في الطاعات والعبادات ، وإحياء سنة رسوله ﷺ والصلاة عليه قبل الموت والفوت ، فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين (كما سيأتي) ، أو يقولوا مرة لا إله إلا الله ، أو يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ، ويتعجبون من الأحياء كيف يضيعون أيامهم في الغفلة ؟ انتهى .

ولقد حرض سلفنا الأبرار على ترسيخ هذه المعاني العظيمة في النفوس ، ليزداد العباد اجتهادا في الذكر والطاعات ومسابقة إلى الباقيات الصالحات ، لئلا تكثر حسراتهم ، وتشتد مصيبتهم إذا نزلوا قبورهم وصاروا حيران الموتى لم ير مثلهم ، ومن ذلك :

❤ حضر الحسن البصري جنازة ، فلما فرغ من دفنها قال الحسن لأحد الحاضرين للدفن : أتظن أن هذا الميت يود الآن أن يعود إلى الدنيا ليزداد من الأعمال من الذكر والطاعات ويستغفر الله لذنوبه ؟ فقال الرجل : نعم ، فقال الحسن : فما لنا لا نكون كهذا الميت ؟ (نقلا عن كتاب (الحسن البصري) لابن الجوزي رحمهما الله) .

الفصل الثاني

مبحث نفيس جدا في

تحليل عمر الإنسان

قوله : مبحث نفيس الخ : قال الراقم : وما ذكرت هذه الكلمات إلا مشجعا للقارئ الكريم على قراءة هذا المبحث النفيس ليكون أوقع في النفس ، ثم كيف لا يكون مبحثا نفيسا طيبا والحال أنه مستنبط من ضوء أحسن كتاب : كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم : سيد الطيبين والطاهرين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . فأقول مستمدا من الله التوفيق والسداد :

لو حللنا عمر الإنسان الواقعي لوجدناه زهاء الثلاث سنوات ، ومرادنا من العمر الواقعي ، هو العمر الذي من أجله خلق الجن والإنس ، ألا ! وهو العبادة ، والعمل الصالح . قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) .

موعظة حسنة وفي تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤٥/٣ : عن بهلول رحمه الله ! قال : بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع البصرة ، إذ بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز ، وإذ أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي ، فقلت : هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ، ولا شئ معه فيلعب به ، فقلت له : أي بني ما يبكيك !؟ أشتري لك الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان ، فرفع بصره إلي وقال : يا قليل العقل ! ما للعب خلقنا ، فقلت : أي بني ! فلماذا خلقنا ؟ فقال : للعلم والعبادة ، فقلت : من أين لك ذلك بارك الله فيك ؟ قال : من قول الله عز وجل : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون : ١١٥) . فقلت : هذا أعقل مني ..... انتهى .

وقال تعالى : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ الملك : ٢.

قوله تعالى : ﴿ليبلوكم﴾ أي ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملا﴾ ولم يقل أكثر عملا بل أحسن عملا ، ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين حبط وبطل . قاله ابن كثير رحمه الله .

وعمر الإنسان الحقيقي هو ما بين سنتين أو ثلاث سنوات ، هلم لننظر مدى صحة هذا الكلام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعمار أمتي ما بين ستين سنة إلى سبعين» (رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب كما في المشكاة باب الأمل والحرص) .

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :«أعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين وأقلهم من يجوز ذلك» (رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن كما في المشكاة رقم: (٥٢٨٠) .

رأينا نسبة عمر الإنسان في المرحلة الراهنة تساوي ما بين أربعين إلى خمسين سنة ، فلنفترض عمر الإنسان (٦٣) سنة بدلا من (٤٠) أو (٥٠) سنة ، لأن نبينا ﷺ كان عمره (٦٣) سنة تقريبا ، فهيا بنا لكى نرى كيف تفنى وتمضي هذه الحياة الفانية .

♥ كما تعلم أن القانون العالمي هو أن يعمل الإنسان (٨) ساعات يوميا ، وتعلم أيضا أن اليوم يساوي (٢٤) ساعة ، فإذا حسبنا مدة (٨) ساعات يوميا في (٦٣) سنة نرى أننا قد صرفنا في العمل (٢١) سنة .

♥ وكذلك لأن يحافظ الإنسان على صحته وفق أصول الطب : يحتاج إلى نوم (٨) ساعات يوميا ، فإذا حسبنا مدة النوم (٨) ساعات يوميا خلال (٦٣) سنة ، فنكون قد صرفنا ٢١+٢١ = ٤٢ سنة في العمل والنوم من مجموع عمر الإنسان المفترض .